هل 'يباع' الأكراد هذه المرة أيضا؟!

30-12-2003

يبدو أن مخاوف الزعيم الكردي مسعود البرزاني التي عبر عنها قائلا: "آمل ألا نباع هذه المرة أيضا"! قد تتأكد مجددا، فكل الشواهد تشير إلى أنه سيتم بيع الأكراد هذه المرة أيضا!.. دور تركيا شديد الأهمية في المنطقة، وما يجمع "الإخوة الأعداء" أكثر بكثير مما يفرقهم، والإغراء الكردي لم يصل إلى حد الذي يحدث فيه الطلاق بين الثلاثي خاصة والوضع يتجه نحو توزيع الأدوار!.

بقلم فيصل فرحي

لم يعد أمام الثلاثي الأمريكي التركي والإيراني، بعد مطالبة الطرف الكردي بمنحه صلاحيات واسعة في حكم شمال العراق وتمكينه من السيطرة على الموارد الطبيعية في المنطقة، من مخرج سوى أن يقطع حبل المجاملات ويشرع سريعا في التفكير بجد لتدارس هذا الملف الشائك، الذي كان ولا زال بمثابة القنبلة الموقوتة التي تهدد بالانفجار في أي وقت، وعلى ما يبدو فالأقلية الكردية، التي تقول بعض المصادر غير الرسمية أنها تزيد في تعدادها عن 25 مليون موزعة بين تركيا أكثر من 50 %، إيران حوالي 25 %، العراق 15 % والباقي بين سوريا وكردستان، أصبحت غير قادرة على قبول المزيد من الأعذار والتبريرات التي ملت سماعها طوال سنوات التيه، خاصة وأنها الطرف الذي أوفى بجميع إلتزاماته في المسألة العراقية.

والظاهر أن الطلب وضع خيارات محدودة أمام المشاركين في "الطبخة" العراقية، ولم يعد هناك مجال للمناورة أكثر أو اللعب على عامل الوقت، لأن المسألة بالنسبة للأكراد أصبحت لا تقبل أكثر من حلين: إما قيام كيان كردي مستقل في شكل مجلس وزراء تخول له صلاحيات المصادقة على القرارات الصادرة عن مجلس الحكم الانتقالي ويشرف على تسيير الشئون الداخلية للأكراد بشكل مستقل، أو الرجوع إلى نقطة الصفر وإعادة النظر في التحالفات المستقبلية التي تصاغ من خلالها المواقف والقرارات، وهذا مالا يحبذه الأكراد، الذين يبحثون عن حل قريب ونهائي لمشكلتهم.

لكن وبالنظر إلى ما تملكه الأطراف الثلاثة من مساحات للمناورة، فإنها لن تستطيع على الأقل في القريب العاجل إجراء تسوية فعلية للملف الكردي الذي تتداخل فيه مصالح أكثر من جهة، وليس لها من حل إلا أن تسكن مخاوف الطرف الكردي الجائع بقطعة صغيرة تنسيه ولو لوقت قصير ألم "التجاهل"، فأمريكا لا تستطيع أن تمنح الأكراد حكما فيدراليا على الطريقة التشيكوسلوفاكية وهي تعلم أن مثل هذا الإجراء سيقطع حبل الود بينها وبين حليفها الاستراتيجي تركيا، خاصة وأن حبر الصفقة المبرمة بينهما أثناء الحرب على العراق لم يجف بعد، والتي وافقت بموجبها تركيا على فتح أراضيها لاستقبال 62 ألف جندي أمريكي تدعمهم 320 طائرة مقاتلة بما في ذلك القاعدتان البحريتان

الاسكندرونة ومرسين، والقاعدتان الجويتان انجرليك وقونية بجنوب ووسط البلاد، كما أن الحليف التركي لم يكن ليقدم على مثل هذه الخطوة إلا في ظل الضمانات الأمريكية بعدم قيام حكم فيدرالي للأتراك، ومن شأن هذا أن ينعش حسب الرواية التركية النزعات الانفصالية، الأمر الذي ترفضه أنقرة جملة وتفصيلا، وجعلها تصر على دخول قواتها إلى شمال العراق لتضمن بنفسها الحيلولة دون تحقيقه، لذلك حرصت على الحصول على ضمانات أمريكية واضحة بقصر تسليح الأكراد على السلاح الخفيف ونزع ما زاد على ذلك لتجنب المواجهة فيما بعد، هذا على المستوى السياسي أما على صعيد التنسيق الاقتصادي، فما يجمع الحليفين التركي والأمريكي أكثر بكثير مما يجعل التجاذب الكردي الأمريكي ممكنا، فقد وصل السخاء الأمريكي إلى حد تأمين حصة ثابتة لتركيا من نفط العراق (10% من نفط شمال العراق أو 5% من إجمالي النفط)، وتعويض خسائرها المتوقعة من الحرب خاصة أنبوب النفط العراقي الذي تحصل تركيا مقابله على 500 مليون دولار.

المعادلة التركية أيضا يدخل فيها عامل إيران بقوة، وهو طرف صعب يجعل الحلم الكردي يتبخر بمجرد توظيفه، خاصة وأن مدينة الموصل التي يريد أن يجعل منها الأكراد عاصمة اقتصادية (وتتركز فيها إلى جانب ومدينة كركوك أهم حقول النفط العراقية) يقيم بها الشيعة، الذين تربطهم ولاءات دينية مع إيران، الأمر الذي يجعل قيام مقاطعة كردية خالصة فيها مستحيلا في ظل الحماية الإيرانية.

يبدو أن مخاوف الزعيم الكردي مسعود البرزاني التي عبر عنها قائلا: "آمل ألا نباع هذه المرة أيضا"! قد تتأكد مجددا، فكل الشواهد تشير إلى أنه سيتم بيع الأكراد هذه المرة أيضا!.. دور تركيا شديد الأهمية في المنطقة، وما يجمع "الإخوة الأعداء" أكثر بكثير مما يفرقهم، والإغراء الكردي لم يصل إلى حد الذي يحدث فيه الطلاق بين الثلاثي خاصة والوضع يتجه نحو توزيع الأدوار!.